ثنائية الحضور والغياب في شعر الحرب في الشعر العراقي الحديث

أ.م.د. راسم أحمد عبيّس الجريّاوي
جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

The duality of presence and absence in war poetry in modern Iraqi poetry

Rasem Ahmed Abes Al-Jerawi
University of Babylon / College of Basic Education
rasemahmed84@gmail.com

Research Summary :

The dialectic of presence and absence increases the productivity of texts and intensifies their meanings. Presence and absence are of great importance in contemporary poetic texts. Because of their semantic productivity and prominent appearance, and this is what prompted us to select them as a title for our research. The presence of presence in the text is not arbitrary, but intended. To make the reader live in huge spaces of interpretations and interpretations, as well as giving the text with its interpretive readings a wide space of survival and existence, and these readings must be proceeding according to studied plans and strict methodologies, in addition to that this duality gives indications of disappearance and appearance in poetic texts so that Some poets did not express the contents of their intentions, but rather left symbols and codes that make the recipient decipher and interpret them, in addition to that presence sometimes gives us an opportunity to enter the absence in order to reveal the connotations it hides.

Keywords: (dualism, presence and absence, war poetry, modern Iraqi poetry).

ملخص البحث :

إنّ جدليّة الحضور والغياب تزيد من انتاجيّة النصوص وتكثّف من معانيها . فالحضور والغياب لهما أهميّة كبيرة في النصوص الشعريّة المعاصرة ؛ نظراً لما يتمتّعان به من انتاجيّة دلاليّة وظهور بارز ، وهذا ما دعانا لانتقائها عنواناً لبحثنا . فوجود الحضور في النص ليس اعتباطاً بل مقصود ؛ ليجعل القارئ يعيش في مساحات هائلة من التأويلات والتفسيرات ، فضلا عن إعطاء النص بقراءاته التأويليّة مساحة واسعة من البقاء والوجود ، وهذه القراءات يجب أن تكون سائرة على وفق خططٍ مدروسة ومنهجيّات صارمة ، إلى جانب ذلك أنّ هذه الثنائيّة تعطي دلالات الاختفاء والظهور في النصوص الشعريّة حتّى إنّ بعض الشعراء لم يصرّحوا عن مكنونات مقصديّاتهم بل يتركون رموزاً وشفرات تجعل المتلقّي يقوم بفكّها وتأويلها ، فضلاً عن أنّ الحضور في بعض الأحيان يعطينا فرصة للولوج إلى الغياب كي نكشف ما يستره من دلالات .

كلمات مفتاحية : (الثنائية ، الحضور والغياب ، شعر الحرب ، الشعر العراقي الحديث) .

المقدمة

تعد ثنائية الحضور والغياب من أكثر الثنائيات حضوراً في الشعر المعاصر ؛ لما فيها من علاقة وطيدة مرتبطة فيما بينها ، إلى جانب ذلك تشكّل هذه الثنائيّة بُعداً جمالياً في القصيدة الشعريّة المعاصرة ، لكنّ بعض الباحثين لم يسلّطوا الأضواء كثيراً حول هذه الظاهرة ، بما فيها من غموض في حضرة النص ، والناقد المتبصّر هو الذي يكشف بواطن الأمور ، من خلال ذائقة رفيعة ، مدعومة بأدواتٍ نقديّة وجهاز معرفي يفكّك شفرات النصوص ؛ ليصل إلى أسرارها ومرتكزات الجمال فيها(١).

فجدليّة الحضور والغياب جدليّة انبثقت في النقد الحديث وسايرت النصوص الإبداعية أيّاً كان نوعها ؛ لما لها من ثراءٍ نصّي يكثّف المعنى ويوثّق من صلاته المضمونيّة ، إلى جانب إغناء النصوص بالرموز التي تخلّدها وتزيد من ايحائيتها ؛ ليجعل منها ثراءً ابداعيّاً لا تتكشف معانيه ولا تتحطّم أسراره إلّا بالغوص في بوتقاته العميقة لترى النور واضحاً ، وهذا الأمر جعل من النقّاد يلتفتون إليها ويسلّطون الأضواء جليّة عليها ، ومن النقّاد الذين سلّطوا الأضواء عليها أدونيس في كتابه (الثابت والمتحول) الذي يرى أنّ الثابت هو ((الفكر الذي ينهض على النص ، ويتخذ من ثباته حجة لثباته هو))(٢)، وهذا ما يجعلنا نتّفق مع من يذهب إلى أنّ مصطلح الثابت يدل على مصطلح الحضور ؛ لأنّ الثابت هو هيأة النص وشكله وألفاظه وهي بدورها في حضور ثابت دائم لا تتغيّر أو تتحوّل(٣). ممّا نجده قد عرّف المتحوّل بأنّه ((الفكر الذي ينهض هو أيضاً على النص ، لكن بتأويل يجعل النص قابلاً للتكيف مع الواقع وتجدّده))(٤)، وهذا أيضاً يدفعنا مع من يؤوّله بأنّ المتحوّل هو الغياب ؛ لأنّ مفهوم أدونيس يوضّح لنا العلاقة القائمة على التأويل وهذا هو الغياب بحدِّ ذاته، والذي لا يظهر مباشرة للمتلقّي؛ بل يستخرجه القارئ عبر فهمه للنص الأدبي فهو مخفي وراء السطور ، وما القارئ إلّا عبارة عن حارسٍ يحرسه لا يقوم بكشفه أو اظهاره إلّا في الوقت الذي يريده حينها فيقوم بتأويل النص ويكشفه(٥).

فالحضور مكمّل للغياب ، فلولا الحضور لما وجد الغياب وبالعكس ، فهما يعدّان اثنين لا يفترقان في أيّ نصّ إبداعي .

وتُعد هذه الثنائيّة احدى مقولات التفكيكيّة إلا وهي مقولة الاختلاف التي تقوم على ثنائيّة الحضور والغياب ، بمعنى أنّ الدوال تحمل مدلولات تتعدّد بالاختلاف فيحضر هذا المعنى ويغيب ذاك ، وبهذا تتّسع الاختلافات وتتعدّد المدلولات توالداً وتلاشياً وتفكيكاً وتأجيلاً وتشتيتاً ، وهذا يعني ثمّة وحدات تحضر ووحدات تغيب في الوقت نفسه(٦).

---

(١) ينظر: جمالية الحضور والغياب في شعر علي بن الجهم ، ناظم محمد خلف ، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد (٣١) أيلول ، ٢٠١٧ :٧٥.

(٢) الثابت والمتحول بحث في الابداع والاتباع عند العرب ، أدونيس ، دار الساقي ، ط٧، ج١، ١٩٩٤: ١٣.

(٣) ينظر : استراتيجية الحضور والغياب في ديوان (رقصة الحرف الأخيرة) لأديب كمال الدين ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خضير ببسكرة ، ٢٠١٩- ٢٠٢٠ : ٩ .

(٤) الثابت والمتحول : ١٣

(٥) ينظر: استراتيجية الحضور والغياب في ديوان أديب كمال الدين : ٩.

(٦) ينظر: الحضور والغياب في ضوء النظرية التفكيكية لجاك دريدا قصيدة (يطير الحمام) لمحمود درويش انموذجا ، أ.م.د. كمال عبد الرزاق صالح ، مجلة كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٧، العدد الثاني : ٣٤ .

فهذه الثنائيّة تُعد بمثابة الموجّه لمسار النص الإبداعي ، فدراستها تتطلّب من المتلقّي في قراءتها ملء الفجوات والفراغات التي تركها منتج النص ، إذ تمدّ النص بالوظيفة الجماليّة والثقافيّة والاجتماعيّة ، بوصف أنّ النص يمثّل الحضور والغياب ، فالعناصر الغائبة في النص الشعري تكون حاضرة ، فهي وسيلة أوجدها المبدع ليجعل المجهول مرتبة المعلوم ، وهنا يكون الغائب هو الرمز ممثّلاً الحضور في أثناء غيابه وينوب عنه . وفي النهاية تقوم هذه الثنائيّة على الجمع والتوحيد ، وفي الوقت ذاته على الفصل والبعثرة متّخذة

مسارات عدّة ، متراوحة بين الانكفاء في حدود ضيقة إلى حدّ الانتظام في شكل اللفظة ، والتعدّد والانتشار المصاحبين بانقطاعات وفجوات وتحويلات تُسهم في تحجيم المعنى[١]. وهذا الأمر جعل طرفي هذه الثنائيّة متشابكين لا ينفصلان ، بوصفهما يبنيان ويسقيان كينونتهما من الحاضر الغائب والغائب الحاضر . فوجودهما مهم في النصوص الشعريّة؛ لما لهما من أثر إيجابي ثرّ يجعل المتلقّي يعيش هذا الوجود ويتنقّل بين حضوريّاته وغياباته ؛ ليمسك بهما عبر الخيوط والإشارات المبثوثة هنا وهناك . وهذا جعلها من ((الظواهر المهمة في النص الأدبي ، فهي تسهم في تكوينه وتضفي عليه مسحة جمالية من خلال التنازع القائم بين طرفيها ، إذ يعمل هذا التنازع على إثبات الصفة الجمالية فيه ، فكلما تمثلت هذه الثنائية في نصٍ ما بقوّة كلما كان النص قويا ومؤثراً ومثقلاً بالدلالات الموحية والمعبرة))[٢]، ولأهميّة ثنائيّة الحضور والغياب في الشعر وطغيانها بشكل واسع في النصوص الحداثويّة ، مما جعل ((النص الغائب هو ما لم يقله النص مباشرة ولكن يوحي به ، هو ما لم يذكره النص ، ولكن يتضمنه وهو كذلك ما لم يصرح به ولكن يثيره . والبحث في النص الغائب يرتكز على البحث فيما وراء النص الحاضر بشكل أساس ، وهو

استحضار الرموز والدلالات والإشارات التي تستنبط من النص الحاضر لإعادة بنائه وترتيبه وتركيبه وبالتالي فهمه على أفضل شكل ممكن))[٣].

وهنا يمكن أن نعد ظاهرة الحضور والغياب عمليّة لتصوير مشاهد النص الإبداعي وعلائقه المتنوّعة في البيت الواحد ، ذلك أنّ النغمة المحبّبة لدى المتلقّي ، هي أن يرى تنويعاً من الاستعارات والمجازات التي تشكّل ما هو غائب من النص ، وهذا ما يجعل الناقد منعزلاً نوعاً ما عن الشاعر[٤]. فوجود الحضور في النص ليس اعتباطاً ، بل مقصوداً ليجعل القارئ يعيش في مساحات هائلة من التأويلات والتفسيرات ، فضلاً عن انتاجه نصّاً آخر من طريق قراءاته التأويليّة ، وهذه القراءات يجب أن تكون متماسكة سائرة على وفق خطط مدروسة ونظرة عميقة .

---

(١) ينظر : ثنائية الحضور والغياب في خزف ما بعد الحداثة ، م. رباب سلمان كاظم ، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة ، مجلة العلوم الانسانية ، كلية التربية للعلوم الانسانية : ٢٢٢.

(٢) فاعلية النص الشعري بين الحضور والغياب في روميات أبي فراس الحمداني ، أ.م.د. حازم حسن سعدون ، مجلة كلية التربية للبنات ، الجامعة المستنصرية ، المجلد ٢٩، العدد (١) ، ٢٠١٨: ١٧٠٦

(٣) النص الغائب – نظريا وتطبيقا – دراسة في جدلية العلاقة بين النص الحاضر والنص الغائب ، د. أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني ، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٣ : ٥.

(٤) ينظر : جمالية الحضور والغياب في شعر علي بن الجهم : ٧٧ .

ومن هنا نعد الغياب الموجود في النص الإبداعي فرصة واسعة لمشاركة القارئ لانتاجيّة نصّ آخر ((بقصد أن الغائب هو الذي يعطي سيلاً من الاحتمالات ويساعد على تعدد المعنى لتلك الاحتمالات لأن آثار الغائب موجودة في العلامات الأخرى وقد تكون هذه الآثار شبحية متخفية على اعتبار أن الذهن يتحرك بحثاً عن شيء غير موجود في النص ، فالشبحية هي أثر العلامة الغائب ، وعليه فالحضور يمثل جسد النص ، أما الغياب فهو المعنى المنتشر))[١].

وهذه الأهميّة للمعنى الغائب وعمليّة البحث عنه تأتي بقصديّة من الباث لتتحقّق عمليّة التحفيز لملكات المتلقّي المشارك في إنتاج النصّ، وهذا الأمر بدوره يغذّي النصّ بدلالات عدّة ، وربّما تتجاوز مقصديّة الباثّ ، بحسب ثقافة المتلقّي الذي يؤول النصّ الغائب الحاضر بحسب طاقته وخبرته الخياليّة والثقافيّة ، فإذا ما شعر بتناقضاتٍ في القراءات الأوليّة للنصّ فسيخيّب انتظار المتلقّي الذي يضطر إلى قراءات جديدة ، وذلك كلّه يعمل على مستويين تطويريين ، الأول يكون خاصّاً بالنصّ الذي يغتني بتعدّدية القراءة أو المعاني ، إذ يحضر الدال ، ويغيب المدلول ، والآخر يكون على مستوى المتلقّي ، الذي طوّر ملكاته الإبداعيّة ، وتمرّنت عبر النصّ ، وهذا كلّه سينطلق وينتهي من رؤى وايديولوجيا المتلقّي[٢].

وعندما ننعم النظر في الشعر المعاصر نجد هذه الثنائية بارزة بشكل فعّال ومشكّلة بعداً عميقاً ملبيّة المواقف المقصودة من لدن المبدع ومستجيبة لدواعي المتلقّي ، وهذا ما سنلحظه في قراءتنا للشعر العربي المعاصر ، ففي ظل هذا البحث سنحاول أن نبيّن أهم السمات التي اتّسم بها شعرنا المعاصر إلّا وهي ثنائية (الحضور والغياب) عبر قراءتنا لبعض الشعر المعاصر ، لذا نجد تجربة الحرب قد أخذت مساحة واسعة في شعر الشعراء المعاصرين ؛ بسبب المأساة التي مرّ بها المبدع بصورة عامة والعراقي بصورة خاصّة ، وهذا ما نجده في شعر الشاعرة فليحة حسن التي تكاد الحرب وأشباحها تلاحقها حتّى في غربتها ، إذ تقول[٣]:

وأنا أشرب الشاي في نيوجرس
مثل فتاة تكتب الشعر عن فتى لم تره من قبل ولو مرة واحدة
تجلس أيامي بكل هذه الخيبة
تعدُّ لحظاتها الهاربة دون أن تملَّ العدَّ
وأنا في يومي العادي هذا
أتذكرُ أمي
وكيف كانتْ
تتحججُ برائحة البصل
تذرف دموعها في المطبخ لغياب أبي
الذي تسلق حياته حرب على حرب

---

(١) الحضور والغياب في قراءة اللوحة التشكيلية (الرسم) ، م.د. ندى عبد الهادي مهدي ، مجلة الآداب ، العدد (١٣٧) حزيران ، ٢٠٢١ : ٧٨٧.

(٢) ينظر: مفارقة الحضور والغياب في أعمال درويش الأخيرة ، منار العرب ، مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد (٤) ، العدد (٦) ، ٢٠٢٠ : ٢٢٣.

(٣) فليحة حسن ، https://www.alnaked-aliragi.net/article/57910. Php

وكلّما ارتدى (نطاقه)
تمنى لو أنّ الحرب مجرد (بسطال) قديم
يخلعه متى يشاء
ولا يفكر بتصليحه عند اسكافي البلدة
أتذكرُ أخي
الذي كنّا نقرأ في رسائله التي لم تصلنا كاملة مرة واحدة :
متى تفهم الحرب بأننا لا نصلح للموت
أتذكرنا قبل أربعين عاماً
أطفالاً جداً
بملابس وقلوب ملونة
تكفينا تلويحه بالون كي تغرق في الضحك
أتذكرُ كلّ هذا
يومياً وأتدربُ على غربتي

فعندما ننعم النظر في الخطاب الشعري نجده ينطبق تماماً على الذات الشاعرة ، إذ إنّها تعرّضت للحرمان ؛ بسبب غربتها المفروضة عليها ولم تستطع الرجوع ، وهذا الأمر جعل ثنائية الحضور والغياب تؤدي دوراً في النصّ ، فأوّل ما تبدأ الشاعرة نصّها بالحضور الخيالي الحالم ، الذي لا وجود لها في العالم الواقعي والذي عبّرت عنه بـ (أنا أشرب الشاي ، مثل فتاة تكتب الشعر عن فتى لم تره من قبل ولو مرة واحدة) ، لكن سرعان ما يبدئ الغياب ويأخذ إمكانيّة حقيقيّة داخل النصّ الشعري ، يبقى فعّالاً بطغيانه على امتداد النصّ ؛ ليكشف لنا مستواه العميق أو الغياب متّخذة منه محاولة لكشف الماضي وعلاقتها به ، واستذكار الماضي بكلّ جماليّاته السابقة من دون أن تمنح ذاتها فرصة التفكير في العودة ، فالذات الشاعرة اتّخذت من الغياب فكرة تبرز ذكرياتها من طريقها لتجذب كل ما هو جميل في حياتها السابقة ، وهذا ما جعلها تخلق مساحة واسعة من الضجر والتوجّع بين الحضور والغياب ، لذا أصبحت تمارس عمليّة محو الحضور لتعكس رغبتها الطاغية ونزوعها الفعّال تجاه الغياب الذي جعلت منه متنفّساً بديعاً لأفكارها ونفسها الاستذكاري ، ممّا جعلت العلاقة بين الحضور والغياب متشظّية غير متداخلة ، لتؤكّد غياباً ملموساً وحضوراً خياليّاً كما يفسّر النص بذلك . الأمر الذي جعل الغياب مادة خصبة للتفكير والتأويل والتعلّق ببنياته المتشظّية ، لذا أصبح الغياب ركيزة جماليّة ومرجعيّة تساعد المتلقّي في فهم النصّ والدخول في حيثيّاته المتشعّبة ؛ ليجعل منها مصدراً لإلهام المعاني المفقودة .

وعلى الرغم من وجود الحضور ماثلاً في النصّ والمتمثّل بـ (أنا المتكرّرة) و (الياء) المتّصلة بـ (أيامي) والضمير (الناء) وغيرها إلّا أنّه حضور شكلي جعلت منه الذكريات المتلهّفة لاستعادتها غياباً تبحث عنه وترجو إعادته ، ممّا جعل الغياب عاملاً يمتلك سمات الحضور ، ممّا جعل العلاقة ضدّيّة بين الطرفين ، وهذا الأمر جعل من فكرة الغياب في حالة مستمرّة من انتاج المعاني لا توقّف عندها ، ما جعلها مركّزة عليها لتجعل من نصّها في حالة توالد معانٍ وإنتاج تفسيرات عدّة في تحليلها للنصّ الابداعي .

وتبقى ثنائيّة الحضور والغياب حاضرة في شعر الحرب عند الشعراء العراقيين المعاصرين، ففي قصيدة لميعة عباس عمارة بعنوان(إلى أمريكي)[١]، إذ يقول :

حتى الأغاني أخرست من قتلي
وأمرُّها أني سأدفع حق كل قذيفة سقطت على أرضي
قومي وإن غضبت واغتربت عندي خيرة الأقوام
زرهم ولو كان بهم خصاصة تجدهم الكرام
الجار عندهم أخ ، وجاركم يبخل بالسلام
يشكو إلى الشرطة ولو أزعج في يوم من الأيام

فعند قراءتنا لهذه الأسطر الشعريّة نجد الحضور ملفتاً للنظر بقوّة على الرغم من عظم المأساة التي لحقت بالعراقيين ، لكن الشاعرة أصرّت ودافعت بقوّة عن الفكرة التي تريد ايصالها للمتلقّي ، لذا بقي هاجس الأمل طاغياً على نفسيّة الذات الشاعرة على امتداد أسطرها الشعريّة ، ممّا جعلها غير فاقدة للأمل ومحقّقة حلمها على الرغم من مطاردته من لدن المحتل وما فعله من تهشّم للذات العراقيّة ، وما قاست عليه الحرب وما لحقت من دمار وخراب ومأساة ، إلّا أنّها بقيت محافظة على إثبات ذاتها من طريق ترسيخ هويّتها الانتمائيّة والابقاء على علو مجدها وعدم ضياعه .

فالشاعرة بقيت مواجهة للغياب القاهر المتمثّل بالمحتل الذي أراد أن يهشّم كل ما هو ثابت عند العراقيين عبر حربه التدميريّة ؛ ليعيش متخفّياً في الظلام ، وأعطت النص الشعري حركة متفائلة عبر معالجتها للصراع النفسي ضد عنف المحتل لتجسّد بوساطته الغائب الجميل لبلدها وما يترتّب عليه من ثوابت قارّة في عمق المتلقّي ولا يمكن أن يمسخها المحتل الأجنبي . ومن هنا يمكن أن نعد أنّ ((أيّ نص هو تركيب من نص حاضر ذي هوية محددة وكيان ماثل ، على الأقل من حيث وجوده اللغوي الفيزيقي ومن حيث احتواؤه على إثارة من عاطفة أو فكر ، ونص آخر غائب ذي هوية غامضة ورامزة ، يستدعي كشفاً لملامحه وتبياناً لفاعليته في إنتاج الدلالات ، وتشكيل التلقّي المضاهي لعملية الخلق والايحاء))[٢]، وهذا الأمر يدعونا عبر قراءتنا للنصّ أنّ المحتل يحاول أن يخمد تاريخ الشعوب من دون منحه فرصة للتفكير فيها ، وهذا ما يظهر جليّاً في مكر العقليّة الذي تحاول الاحتلال ، فهي دائماً تريد استئصال الماضي الجميل للشعوب ، من أجل خلقها ماضياً مشابهاً لما تريده ، تختلط فيه الثوابت ، ممّا جعل الذات الابداعيّة بقدرتها الرائعة أن تخلق تفاعلاً ذات عناصر متضادّة ، حتّى إنّها أبرزت تاريخ بلدها الأسمى غير الخاضع لمتطلّبات الاحتلال الدونيّة .

وتبقى ثنائيّة الحضور والغياب ذات أثر فعّال في نصوص الشعر المعاصر ، فالشاعر أجود مجبل في أحد نصوصه الشعريّة يكشف عن احساس متفائل يبتدئه بصياغة سؤالٍ يجيب عنه في أثناء نصّه ، إذ يقول[٣]:

لنشهدَ كيف الصبحُ يولدُ رائعاً

---

(١) لميعة عباس من قصيدة إلى أمريكي ألقتها ضمن أمسية شعرية ، ٢٠١٠ .

(٢) النص الغائب في القصيدة العربية الحديثة ، عبد السلام عبد الخالق الزبيدي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ط١ ، ٢٠١٢ : ٢٧ .

(٣) يا أبي أيها الماء ، أجود مجبل ، شركة نورس بغداد للطباعة ، ٢٠١٢ : ١٢١ .

وتعلو شُجيراتٌ
على ضَفّةِ القلبِ
وقفنا ببابِ الحربِ
أسرابِ صِبْيَةٍ
وفوق أمانينا مشَتْ أرْجُلُ الحربِ
صعِدنا إلى مجدِ الصليبِ
ولم نَعُدْ
وهل عاد يوماً صاعدون إلى الصلْبِ ؟
على الأرضِ دَوّنّا قصائدَنا
كما يُدوّنُ تأريخُ الربيعِ على العُشْبِ
يضيقُ بنا سِجْنٌ
فنرسُمُ سُلّماً
ونعبرُ أطفالاً

لعل الناظر لهذا النصّ الشعري سيجد الغياب لا يفارق الذات الشاعرة على الرغم من قوّتها وتفاؤلها ، إلّا أنّها تحاول بل تجزم دائماً وتدفع بالشاعر نحو الغياب على الرغم من محاولة الشاعر بصعود كفّة الحضور ليتأمّل خيراً والدّالة عليه بداية النصّ (لنشهد كيف الصبح يولد رائعاً) ، لكن حضور الغياب أقوى من أن تقف بوجهها ذات الشاعر فتأخذه نحو الغياب المتمثّلة بـ (الحرب) الذي يجزم بوقوعه ويراه موجوداً عبر حركة زمنيّة سريعة يلمسها الشاعر بقوله : (وقوفَ أمانينا مشتْ أرجل الحربِ) ، لذا نجد حضور الشاعر المتمثّل بأمنيته لم تتحقّق ، بل نراه مستسلماً للموت المتمثّلة بالحرب ، على الرغم من مواجهتها من لدن الشاعر والذي يدل عليها (لنشهد ، وقفنا ، صعدنا) فهي مفردات تدلُّ على القوّة والعزيمة للذات الشاعرة وتعكس دلالة الحضور الفعّال للشاعر ، لكن تبقى هوّة الغياب أقوى ومتجاوزة قوّة الشاعر (صعدنا إلى مجد الصليب ، ولم نعد) ، ويجيب باستفهام انكاري (وهل عاد يوماً صاعدون إلى الصلب ؟) ، فنجده يجيب بنهاية حتميّة قارّة في عمق الذات الشاعرة ، بل في ذاكرة المتلقّي ، فهو لا يستطيع أن يفعل أي شيء مهما أراد وحاول . فهو يحاول أن يعطي صفة لا تقبل الشك . لذلك يتجلّى حضور الشاعر وإحساسه بفقدان الزمن بل غيابه تماماً ، فهو يتمنّى أن يعيش صباحاً جميلاً مملوءاً برائحة الأشجار وضفاف القلب ، فحضور الشاعر يقابله غياب كامل للزمن الحضوري المرجو ، لذا أراد أن يرسم صورة حضوريّة جميلة لكن لم يستطع .

وهذا الأمر يدفع بالمتلقّي لشحذ الذهن واستنباط ابداعاته المعرفيّة ؛ لأنّ ((ثنائية الحضور والغياب تحتاج متلقاً فاعلاً ومنفعلاً ؛ لتفعيل دوره في ايجاد الغائب المتخفي من لدن المبدع بشكل مقصود ، فلا يوجد غياب حقيقي أصلاً))[١].

إلى جانب ذلك نجد الشاعر عدنان الصائغ يصرخ عالياً منددّاً بمأساويّة الحرب وما آلت عليه من أضرار جسيمة تركت دماراً وغيّبت أناساً ، إذ يقول في قصيدته الذي سمّاها (الجنوب)[١]:

(١) مفارقة الحضور والغياب في أعمال محمود درويش الاخيرة ، منار العرب : ٢٢٦ .

ما هكذا ...
يا مدينةُ
تنسين عُمري الذي سرقتْ نِصفَهُ الحرْبُ
ما هكذا ، يا مدينةُ تنسينَ أحزاننا
والوجوه التي غيبتها الخنادِقُ
ما هكذا يا مدينةُ ... نحنَ طعام المعاركِ
كم صدحتْ
في الأناشيدِ
أسماؤُنا

يتجلّى صوت الشاعر عالياً عبر الجمل (ما هكذا) بتكرارها مرّتين ، فضلاً عن الضمائر المتصلة في (عمري ، تنسين ، نحن ، أسماؤنا) ، ليعلن من خلالها النفي الحقيقي الذي غيّبته الحرب وفرضت عليه ، لكن حضور الغياب أقوى ، فهذه الألفاظ على الرغم من أنّها تحيلنا في ظاهرها على الحضور ، إلّا أنّها جاءت حاملة دلالات وتأويلات معاكسة ، فالشاعر قام بتوبيخ مدينته ؛ لأنّها عملت على نسيانه ونسيان كل ما هو جميل ، فيخاطبها فهل (نسيت عمري الذي سرقت نصفه الحرب) ، فيعمل على خلق تضاد بين الحضور والغياب بين الحق والباطل ، فالذات الشاعرة خلقت توبيخاً أرادت من طريقه فعّالية الحضور عبر سؤاله للمدينة في نكران ذاته وكلّ ما يتعلّق بصوته الحماسي ، وهذا الانتماء للذات الشاعرة حاول بوساطته خلق حضور في مخاطبة ومحاورة لمدينة أنكرت أصل الشاعر وغيّبت ذاته ، وهذا الأمر جعل من الشاعر يختار الغياب بعدما عرف أنّ الحضور غير مجدٍ بعد كل ما حصل عليه من معاناة الحرب ، لذا حاول أنّ ذاته الإبداعيّة بما تحمل من نصوص ومعانٍ ودلالات تتّسم بإبداعات فكريّة وفنيّة رائعة .

إذ إنّ الشاعر عمد إلى خلق علاقة جدليّة بين الحضور الذاتي والمكاني ، تعكس البعد الذاتي للشاعر وعلاقته بمدينته ، لذا يحاول خلق فجوة عميقة بينه وبين المدينة التي أنكرت علاقته معها . وهذه الفجوة ولّدت مفارقة ضدّيّة بين الغياب والحضور ، غياب الذات الشاعرة في ذاكرة المدينة ، لذا أراد الشاعر أن يعبّر عن نوع من الحضور عبر علاقة تحاوريّة يستحضر عبرها علاقته بالمدينة بحثاً عن الكمال الغائب والحاضر في ذاكرة الشاعر ، حتّى يكشف النص الغائب عبر فعّاليّة الملقّي القرائيّة ، أي أنّ ((كل ما لم يقله النص صراحة ولكن كامن فيه ، وعلى الناقد أن يحضره على عالم الإشارة من طريق نظام الكتابة أو من خلال السياق))[٢].

ويبقى الشاعر مرشد الزبيدي يخلق علاقة تحاوريّة عبر أسلوب الاستفهام ، إذ يقول[٣]:

لماذا تطيح القنابل في الجسر
لو لم تكن تكره العابرين
لماذا تطيح الصواريخ بالمتحف المتألق بالزهور

(١) الاعمال الشعرية ، عدنان الصائغ ، بيروت ، المؤسسة العربية ، ٢٠٠٢ : ١٩٢-١٩٣.
(٢) تمنع النص متعة المتلقي ، قراءة حافوف النص ، بسام قطوس ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٢ : ٤٥ .
(٣) نقاط حديث عراقية ، مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،١٩٩٨ : ٦٤، ٩١ .

لو لم تكن تكره الناس ماضين ، أو حاضرين
لماذا هدمت طائرة ملجأ للصغار
إذ لم تكن تكره الابتسامة والياسمين

فالشاعر عمد إلى خلق علاقة تحاوريّة عبر أسلوب الاستفهام ، ولم يترك فرصة المشاركة في التأويل للمتلقّي ، بل أعطى الاجابة والنتيجة الحتميّة للقارئ ، لكن عبر قراءة أخرى نجد أنّ الذات الشاعرة في إبداعها حاولت قلب المعادلة عبر خلق علاقة تهكّميّة توبّخ من خلالها العدو المتمثّل بالغياب

وأحقّيته في رمي الأهداف السلميّة ، فحاول عبر ذلك خلق مساحة اتّساع بين الحضور والغياب ، فأصبح يمارس عمليّة محو واستحقاق للغياب مقابل دونيّة وعدم للحضور هذا من طريق القراءة الظاهرة ، لكن عندما نتمعّن في بوتقات النصّ نجد العلاقة عكسيّة تماماً ، لا تسمح للغياب أن يفعل دونيته المأساويّة ، ممّا يخلق لديه نصّاً إنتاجيّاً قابلاً للقراءات وإنتاج الدلالات ؛ كي يجعل لنصّه خاصّاً غير مكشوف للقارئ العادي ، لذا أصبح هذا الحضور للشاعر مظهراً ايجابيّاً للذات الشاعرة يعكس بوساطته ردّة فعله ضد الغياب . ممّا نجد الشاعر هادئاً في نصّه غير منفعل ، وهذا الهدوء لحالة مأساويّة تجعل من المتلقّي فكراً يعيش إحساس الشاعر ولحظة كتابة نصّه ، وهذا ما جعل ((القراءة نشاطاً متعدد الأوجه ، من حيث صدورها عن ذوات متعددة تسيرها فضاءات معرفية ونفسية مختلفة ، هذا التعدّد يسمح للنصّ بالتجدّد والاستمرارية على مستوى العطاء الدلالي ، إذ كلما كان النص منفتحاً على أكثر من قراءة كلما زادت مناعته وأصبح أكثر قدرة على الصمود))[١].

ويستمر الجدل القائم بين الحضور والغياب ، فالشاعرة بشرى البستاني تتحدّث عن الهويّة العربيّة وما آلت عليه من عدوان ساحق أثّر على ثوابتها القارّة في عمق كلِّ عربي أصيل ، إذ يقول[٢]:

هل رأى حمورابي ما فعلته الدبابات الأمريكية بأسوار بابل .. ؟
ثار العالم ثورة دونكيشوتية على عشرات الآلاف من القطع الأثرية
النفيسة التي سرقت من متاحف العراق
وناشد المختصون منظمة اليونسكو ومراكز حماية الآثار الحضارية
لكن الدبابات الأمريكية ظلت تخرب أسوار بابل
وتهدم شرف قصورها المفتوحة على الأفق ،
وظلت الحرية والديمقراطية وقوانين حقوق الإنسان
سارية المفعول .

تبرز صرخة الذات الشاعرة عالية بوساطة رجوعها للتاريخ العريق وعبر استحضارها الماضي المتمثّل بالحضور وبوساطة مخاطبتها لحمورابي ، فعمدت على خلق حوار تصعّد من طريق الحضور الماضي مقابل الحاضر المتمثّل بالغياب المأساوي . فتتفاوت دلالات نص الشاعرة بين الحضور

(١) جمالية التلقي في شعر محمود درويش – الحضور والغياب وظاهرة التكرار – د. قيس صبيح العطواني ، مجلة كلية التربية الاساسية ، المستنصرية ، ملحق العدد الخامس والسبعون ، ٢٠١٢ : ٥٥ .
(٢) ديوان الحب ، بشرى البستاني ، بغداد ، الدار العربية للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٣ : ١١ .

والغياب ضمن علاقة ضدّيّة غير متّفقة تماماً ، فالحضور الماضي يقابله غياب حاضر يتّخذ خط التناقض والدمار فلا يوجد اتصال بينهما ، وعلى الرغم من مناشدة الحضور إلّا أنّ حضور الغياب يظلُّ قويّاً مدمّراً لوجوديّة الحضور على الرغم من اصالتها ، فهو غياب غير مشرّف ومذلٍّ فهو متمثّل بالمحتل الذي دمّر الثوابت وحطّم وجوديّتها وحاول ازالة كل ما موجود وقارّ في العمق الحضوري في الذاكرة العراقيّة ، وعلى الرغم من كلّ ما فعله الآخر المحتل المتمثّل بالغياب إلّا أنّ قوانينه بقيت سائرة المفعول لم يقف بوجهها أحد.

فالشاعرة حاولت أن تحقّق الحضور وتنفي الغياب عبر محاورتها مع حمورابي ، لكن لم تستطع فبقي الغياب قويّاً عازلاً لسلطة الحضور ونافياً لوجودها . لذا عمدت الشاعرة على بدء قصديّتها بألفاظ متوتّرة تتفاعل فيها الذات الشاعرة مع الحدث محطّمة أفق التوقّع فذهبت إلى الماضي تستدعيه وتستغيث إليه ؛ لأنّه كان ماضياً مزدهراً بعبق الحضارة ، وممّا يؤكّد هذا هو تعبيرها بأداة الاستفهام بما يحمله من روحٍ دراميّة تدلّ على التوجّس والحيرة والانتظار والخوف ، فضلاً عن تناولها الأفعال الماضية (رأى ، ثار ، ناشد ، ظلت) ؛ لتثبت حقيقة وقوع الدمار على متاحف العراق ، وجاء الفعل المبني للمجهول (سُرِقت) ليعمق حجم الشعور بطمس الحضارة ، ممّا جعل الشاعرة لم تتوقّف عن فضح الأنظمة التي سارت وتسير في ركاب العدوان والتي تضع حدوداً وقيوداً ضد اطلاقات نداءات الأمة في مواجهة أعدائها(١). وتبقى الثنائيّة التضاديّة بين الحضور والغياب فعّالة متصادمة فيما بينها ، فالشاعر فارس حرّام ينطلق من رؤية تصويرية يصوّر عبرها اغتراب الذات الشاعرة المفروضة عليه ؛ بسبب عدم الحريّة في كتابة النصوص ، إذ يقول(٢):

أتحرّى البلادَ وهي اغترابي,
آتيًا في الورود , وهو الصدورُ..
علمتني الحروب كيف يسير الصبحُ ليلًا,
ويستضاءُ الخبيرُ,
بين جسمٍ بحرٍ وروحٍ ضياعٍ,
– كم بيوتٍ تعيشُ فيها قصورُ..
(كيف يرتاح من يعيش غريقًا؟, ولنسيانه فراشٌ وثيرُ ؟)
– علمتني الحروب
أن أقرأ الشعر الى الريح :
الغائبون حضورُ .
بيدي زهرةٌ ,
الى الحرب أُهديها ,
وعندي من الهدايا كثيرُ ..
سقفُ بيتٍ وبابُهُ ,

(١) ينظر : أثر الاحتلال الامريكي في الشعر العراقي المعاصر – قراءة نقدية – د. رشا غانم ، من الشبكة المعلوماتية .
(٢) مرة واحدة ، فارس حرّام ، اصدارات دائرة الثقافة والاعلام ، حكومة الشارقة ، ٢٠٠٥ : ٨٧ –٨٨.

والأحاديثُ ,

وقِدرٌ

بالذكريات يفور

يكشف لنا الخطاب الشعري عن عمق المأساة الغارقة في بوتقة الغياب والمؤمنة به والمسيطرة تماماً على الحضور ، فالشاعر يعطي صورة قاتمة لذاته مؤمنة بالواقع المعيش ومستسلمة له ، إذ إنّ الحضور الذي يحلم به الشاعر غير موجود في الواقع ، فيتحوّل إلى نسق مسكوت عنه يعطي تفاصيله بكل جزيئياته ، فالشاعر لا يبحث عن السرور ، بل حوّل مجرى حياته إلى الظلام ولم يُعد ذائقاً طعم حلاوة الجمال والنور أبداً ، لذا نجده يؤمن بكل تفاصيل الغياب المتمثّلة (بالحرب) ، وكيف حوّلت مسار صباحه الجميل إلى (ليل) ومؤمنا بأنّ (من يعيش غريقاً) يصبح مرتاحاً ، وهذا الأمر جعل من الذات الشاعرة تبحث عن الحقيقة الغائبة التي يراها الشاعر حتّى عمد إلى نسيانها . لذا عمل الشاعر على الاستعانة بهذه الألفاظ الدالة على الغياب ليظهر لنا غياباً تاماً للحضور في مقابل غياب كلّي للسلام والهدوء ، وممّا جعل النصّ ثريّاً بوظيفته النصّيّة والدلالات التضاديّة التي أصبحت علاقتها تضاديّة غير منسجمة .

نجد أنّ هذا النصّ الشعري بُني على صوتٍ واحد، هو صوت الشاعر المتأمل الراثي لوطنه، إذ تبدأ الذات الشاعرة بالبحث والتقصّي عن ملامح الوطن وهويته(أتحرى البلاد)، وسط اغتراب وجودي خلفته الحروب ومآلاتها ،ممّا جعلت الشاعر يعيش حالة اغتراب وتضاد مع الواقع ، وهذه جعلت من الشاعر يستدعي رمزيّة الليل ؛ بوصفه معادلًا وجوديًا لتأريخ طويل من السواد(حروب)، تتحوّل فيه صورة النهار المشرق إلى ليل مظلم (يستضاع الخبير) فيه ، وهي إشارة إلى حالة التيه والضياع الذي حلّ بالوطن ، ولتأكيد هذا الاغتراب وحالته يزجّ الشاعر برمزيّة البحر لتنذر بالخوف والغموض، وارتياد المجهول، مع رغبة وشهوة مفترضة للغائب من الأمكنة (كم بيوتٍ تعيش فيها قصور)، ولا شكَّ في أنَّ هذه الصور تكشف عن ذات متأزّمة مفجوعة بقضيّتها ، إذ تعيش في عالم موحشٍ لا أمان فيه.

وفي ظل هذا المنفى الوجودي يستدعي الشاعر الكتابة لعلّها تعطيه احساسًا **مضلّلًا بالتعويض ، وتسبغ عليه صفة الرائي ، لكنّها تصطدم بالريح ، والريح**

هنا صنو اللاجدوى ، بدلالة (الغائبون حضور) ، بمعنى أنَّ الشعر أصبح عزاءه ، وأنّ موجهات الكتابة لديه هي مظاهر القلق والاضطراب والألم[١][٢٥] .

أمّا الشاعر سلام دواي في قصيدته (جربوع) فيعترف صراحة بحجم الخراب والدمار الذي خلّفته الحرب ، ولم يستطع أن يفعل شيئاً ، أي أنّه يسير ويؤمن بطرف الغياب الذي ألغى من طريقه الطرف الآخر المتمثّل بالحضور ، إذ يقول[٢]:

أيتها الحرب

صار عليّ أن أعترف الآن

(١) ينظر : الهوية في شعر الجيل التسعيني العراقي ، رائد حاكم شرار ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٧: ٥٦ .

(٢) شاعرية سلام دواي ، كاظم غيلان ، http://24-news.org/news-zz.html.

بأني قد خنتكِ

دخلت إليكِ

بمائة وعشرين إطلاقة

وخرجت بنفس العدد

وسبطانتي في زيتها باردة

مرة برز إلينا جربوع أخضر

كان كبيراً ولسانه يتلمظ

قال الضابط عليك به فأبيت

أنثاه كانت خلقه

خضراء مثله وجميلة

ولها غرة بلون الرمل

البريق الذي يتكسر في عينيها

أشعرني بالألم

بادر أحد وأطلق على الجربوع النار

قمتُ لأدفنه وأضع على قبره راية الدولة

لولا أنهم اتهموني بالسخرية

يومها كانت الدولة

راية وطبل

وكان الرصاص يقتل الناس والجرابيع

فعلى الرغم من الحضور اللافت لطرف الحضور مقابل عدميّة الغياب والمتمثّل بالضمائر الأنويّة المبثوثة على طول النصّ مثل (عليَّ ، أعترف ، أني ، دخلت ، خرجت ، سبطانتي ، أبيت ، أشعرني ، قمت ، أدفنه ، أضع ، اتهموني) إلّا أنّ النصّ يوحي بمعنى آخر ودلالات تصعّد طرف الغياب عبر الحضور القابل للطمس والتزييف ، فالذات الشاعرة أعطت للحضور فرصة التشتُّت وعدم القيام بأي فعلٍ يوقف الغياب باعترافه هو (سبطانتي في زيتها باردة) (أيتها الحرب ، صار عليّ أن أعترف الآن ، بأنّي قد خنتك) ، فهذه دلالات وتأكيدات تمحي الحضور وتعترف صراحة بالغياب المضمر تحت الحضور ، فالذات الشاعرة منحت الغياب دلالات ومعاني مبثوثة بين طيّات الحضور وبين بوتقات المؤصلة للمراد من وراء الحضور . لذا أراد الشاعر في تعامله مع الحضور والغياب أن يترك للمتلقّي فكّ هذه الشفرات المهيمنة في هذا الخطاب النصّي والمتمثّلة بعدم المواءمة والاتفاق ؛ كي نفكّ ونأوّل ما تخفيه وراءها من غيابات التي نستطيع أن نعدّها شفرات ودلالات سيميائيّة تتضمّن الكثير من الرموز لتكشف عن معاني الغياب داخل النصّ . وهذا ما يجعل النصّ حاملاً لـ ((امكانيات نصوصية قادرة على الانفتاح وتسعى إلى بناء وجدان جمعي وإلى دلالات شمولية كلية ، وهذه لا يمكن تحققها إلّا

بمشاركة القارئ في اقامة دلالات النص ، وذلك بعد أن أصبح النص نظاماً من الإشارات الحرة بها تتعدد مستويات الدلالة وتتنوع))[١].

وفي ضوء ذلك أنّ هذا النصّ الشعري يستحضر صور الماضي ، كي يواجه بها الشاعر حجم الخراب الذي أصاب الإنسان في الحرب عبر التركيز على أمر القائد بقتل الجربوع ، وبما أنّ الشاعر يرفض قتله لا سيّما بعد أن يرى زوجه تمشي خلفه ، وربّما أنّ المشهد كلّه يرمز لكلِّ إنسان بسيط ممكن أن تصفه الأقدار في مواجهة الرصاص . فالجربوع كناية عن الناس المسالمين الذين لا يرغبون في أذيّة أي إنسان والشاعر من ضمنهم . فالشاعر يصرُّ على عدم إطلاق أية رصاصة من بندقيته التي يمتلكها بوصفه جندياً في المعركة ، لكنّه بقي في قرارة نفسه ذلك الشاعر الذي يرفض تمجيد القتل ، لكن يقابل ذلك من يطلق النار حتّى على الجربوع المسالم ، لأنّ الدولة هي من تريد ذلك .

من هنا نجد أنّ الإبداع الجيّد في حاجة إلى هضم وتمثّل للتجارب على العموم وليس الانفعال بالتجربة فقط . إذ تبدو الحرب أحياناً أشدُّ هولاً من الخيالات الجامحة ، وقد يفيد المرء التذكّر الاسترجاعي لمفردات الواقع ، بينما يبقى الإبداع الذي يرتكز على الخيال هو الأهم والأكثر فنيّة . من هنا كان الشاعر يعمد إلى وضع خيوط جديدة لنصّه الذي انماز بالبساطة والوضوح ولكنّه لا يخلو من رموز تتناغم مع لهجة الادانة لنمط التفكير اللاإنساني الذي تضعه الدولة آنذاك[٢].

أمّا الشاعر خزعل الماجدي يتحدّث عن الفوضى وبشاعة الموت ، لذا تبرز لديه ثنائيّة الحضور والغياب في جدليّة متضادّة فيما بينهما ، إذ يقول في قصيدته (كلما ظهر بطل)[٣]:

هذه هي الحصيلة :
المجرمون في الشوارع
الأبرياء في السجون
والعلماء في المنفى
هذه هي بغداد

فالنص الشعري يزخر بغياب تام للحضور يقابله تكثيف للغياب المتمثّل بالفوضى والدمار الذي جلبه المحتل الأمريكي حتّى أصبحت بغداد ليست صالحة للعيش ، بسبب وجود المجرمين في الشوارع والأبرياء في السجون والعلماء في المنفى ، فالشاعر أعطى صورة مكانيّة قاتمة وسوداويّة عن بغداد ، لذا أصبح النص الشعري عبارة عن صورة موجعة ومحضن للآلام عبر الغياب المطلق والمثبت بدلالات ومحطّات الموت والنفي والسجون ، حتّى أصبحت بغداد رسماً جامعاً لدلالة القتل والأرهاب من وجهة نظر الشاعر . وهذا الأمر جعل من الذات الشاعرة تعبّر عن مرارة الاحساس بفجيعة المكان مقابل غلبة الغياب ، وهو الجانب الذي ينكشف فيه صوت الشاعر للدلالة على العدميّة والتلاشي وعدم الحياة في تصوير مؤلم ومأساوي يعكس الغياب والمصير المجهول ، حتّى أصبح الموت مصيره المحتوم على الرغم من تشبّثه بالحياة ورغبته بالبقاء . لذا نجده يصوّر تلك الحقيقة الصادقة ويقدّمها للقارئ .

---

(١) تشريح النص – مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ،ط٢، ٢٠٠٦ : ١٩ –٢٠ .

(٢) ينظر : سيرة الحرب في الشعر العراقي المعاصر ، أ.م.د. حذام بدر حسين ، مجلة الجامعة العراقية ، العدد (٥٠) ، ج (٣) : ٣٠٤ .

(٣) خزعل الماجدي وقصيدته ، كلما ظهر بطل ، ٢٠٠٨ .

وقريب من الشاعر خزعل الماجدي نجد الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، قائلاً[١]:

فكيف تجرؤ يا أهلي بنادقكم على بنيكم ولا تندى لكم مقل ؟

وكيف تسفح يا أهلي حناجركم وما بنيكم ولا ينتابها شلل ؟

وكيف يا أهلنا نالوا مروءتكم فأوقفوا بينكم من بعد وما اتخذلوا .

يا أهلنا ليس في حرب العِدا خلل بل قتلكم بعضكم بعضاً هو الخلل

فعلى الرغم من الحضور القلبي للذات الشاعرة إلّا أنّها كانت من طرف واحد ، أي أن يجعل له انتماءً تليق بإبداعيته وليحقّق انتمائيته المكانيّة كي يكون حاضراً . ففي هذا السياق النصّي نستطيع أن نضع عدداً من المفاهيم التي تحيط بالخطاب النصّي وتدور حول أفق المكان الذي يحيط بالشاعر في دائرة ضيّقة .

فالشاعر كان متأزّماً متألّماً يصوّر مشهديّة المكان ومأساويّته بصيغة استفهاميّة متكرّرة في ثلاثة أبياتٍ وترك حرّية الاجابة للمتلقّي في هذه الأبيات ؛ ليجعلنا في غياب ودلالات نستشفّها من تأويلاتها ، لكن سرعان ما يفاجئنا في البيت الرابع ويكشف لنا السرّ الموجود في القتال المدمّر ليس بين ذاتين متناقضتين أي طرفي نقيض ، بل يعطينا النتيجة الحتميّة والمتمثّلة بـ (**يا أهلنا ليس في حرب العِدا خلل بل قتلكم بعضكم بعضاً هو الخلل**) فهو غياب مدمّر ونتيجة مؤلمة جدّاً أوصلتنا لهذا . وهنا فالحضور هو لقاء معدوم يقابله غياب معلوم غير مرغوب في وجوده ، لكن وجوده محتوم على الآخر . فالشاعر يعطي الصورة المظلمة التي عاشها العراقيون والمتمثّلة بالفتن والمآسي التي لحقت بهم ، حتّى نجح الغياب المتمثّل بالمحتل في تحقيق نواياه المخيفة وحقّق ما يريد المستعمر الأجنبي .

وتستمر الصورة المتشابهة لحالة الحرب عند الشاعر سعدي يوسف ، إذ يقول[٢]:

السمتياتُ الأمريكيةُ تقصفُ أحياء الفقراءِ

والصحفُ المأجورة

في بغداد

تحدِّثُ قراءً أشباحاً

عن أرضٍ سوف تكون سماءْ

فالنص الشعري يتحدّث عن مصير مجهول للوطن الذي خرّبته الحرب والتي لم تستطع التمييز بين أحياء الفقراء والأغنياء وساحات المعارك ، إلى جانب الصحف المأجورة التي تعطي صورة لأرض سوف تكون خالية من الناس.

فالنص الشعري يقوم على زمانين الزمن الحاضر المتمثّل بالغياب والذي يعطي صورة سوداويّة مليئة بالمأساة وزمن ماضٍ متمثّل بالحضور والذي يعطي جانباً مشرقاً ، لكنّ المحتل عمد إلى تهشيم وضرب الجوانب الاشراقيّة لهذا البلد ، إلى جانب شراء الذمم للناس المأجورين والمتمثّلين بالسلطة الحاكمة

---

(١) عبد الرزاق عبد الواحد ، قصيدة يا نائي الدار ، ٢٠٠٤ .

(٢) قصائد سعدي يوسف ، أخبار الأدب ، دار أخبار اليوم ، القاهرة ، ٢٠٠٥ :

لذا أصبح الحضور متلاشياً أمام قوّة الغياب وقائم على علاقة غير ترابطيّة في تمرّديّة الغياب وتشظيّة أمام الحضور معبّرة عن مأساة صادقة وشحنات ذهنيّة قاتلة وغير متفاعلة معها الذات الابداعيّة .

وفي النهاية نجد أن جدليّة الحضور والغياب تزيد من انتاجيّة النصوص وتكثّف من معانيها . فللحضور والغياب أهميّة كبيرة في النصوص الشعريّة المعاصرة ؛ نظراً لما يتمتّعان به من انتاجيّة دلاليّة وظهور بارز ، وهذا ما دعانا لانتقائها عنواناً لبحثنا . فوجود الحضور في النص ليس اعتباطاً بل مقصود ؛ ليجعل القارئ يعيش في مساحات هائلة من التأويلات والتفسيرات ، فضلا عن إعطاء النص بقراءاته التأويليّة مساحة واسعة من البقاء والوجود ، وهذه القراءات يجب أن تكون سائرة على وفق خطٍ مدروسة ومنهجيّات صارمة ، إلى جانب ذلك أنّ هذه الثنائيّة تعطي دلالات الاختفاء والظهور في النصوص الشعريّة حتّى إنّ بعض الشعراء لم يصرّحوا عن مكنونات مقصديّاتهم بل يتركون رموزاً وشفرات تجعل المتلقّي يقوم بفكّها وتأويلها ، فضلاً عن أنّ الحضور في بعض الأحيان يعطينا فرصة للولوج إلى الغياب كي نكشف ما يستره من دلالات .

المصادر ///

١- أثر الاحتلال الامريكي في الشعر العراقي المعاصر – قراءة نقدية – د. رشا غانم ، من الشبكة المعلوماتية .
٢- استراتيجية الحضور والغياب في ديوان (رقصة الحرف الأخيرة) لأديب كمال الدين ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خضير ببسكرة ، ٢٠١٩- ٢٠٢٠.
٣- الاعمال الشعرية ، عدنان الصائغ ، بيروت ، المؤسسة العربية ، ٢٠٠٢ .
٤- تشريح النص – مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ،ط٢، ٢٠٠٦ .
٥- تمنع النص متعة المتلقي ، قراءة حافوف النص ، بسام قطوس ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٢ .
٦- ثنائية الحضور والغياب في خزف ما بعد الحداثة ، م. رباب سلمان كاظم ، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة ، مجلة العلوم الانسانية ، كلية التربية للعلوم الانسانية .
٧- الثابت والمتحول بحث في الابداع والاتباع عند العرب ، أدونيس ، دار الساقي ، ط٧، ج١، ١٩٩٤ .
٨- جمالية التلقي في شعر محمود درويش – الحضور والغياب وظاهرة التكرار – د. قيس صبيح العطواني ، مجلة كلية التربية الاساسية ، المستنصرية ، ملحق العدد الخامس والسبعون ، ٢٠١٢.
٩- جمالية الحضور والغياب في شعر علي بن الجهم ، ناظم محمد خلف ، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد (٣١) أيلول ، ٢٠١٧.
١٠- الحضور والغياب في ضوء النظرية التفكيكية لجاء دريدا قصيدة (يطير الحمام) لمحمود درويش انموذجا ، أ.م.د. كمال عبد الرزاق صالح ، مجلة كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٧، العدد الثاني .
١١- الحضور والغياب في قراءة اللوحة التشكيلية (الرسم) ، م.د. ندى عبد الهادي مهدي ، مجلة الآداب ، العدد (١٣٧) حزيران ، ٢٠٢١ .

١٢- خزعل الماجدي وقصيدته ، كلما ظهر بطل ، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨ .
١٣- ديوان الحب ، بشرى البستاني ، بغداد ، الدار العربية للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٣.
١٤- سيرة الحرب في الشعر العراقي المعاصر ، أ.م.د. حذام بدر حسين ، مجلة الجامعة العراقية ، العدد (٥٠) ، ج (٣) .
١٥- شاعرية سلام دواي ، كاظم غيلان ، http://24-news.org/news-zz.html.
١٦- فاعلية النص الشعري بين الحضور والغياب في روميات أبي فراس الحمداني ، أ.م.د. حازم حسن سعدون ، مجلة كلية التربية للبنات ، الجامعة المستنصرية ، المجلد ٢٩، العدد (١) ، ٢٠١٨ .
١٧- عبد الرزاق عبد الواحد ، قصيدة يا نائي الدار ، ٢٠٠٤ .
١٨- فليحة حسن ، https://www.alnaked-aliragi.net/article/57910. Php
١٩- قصائد سعدي يوسف ، أخبار الأدب ، دار أخبار اليوم ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
٢٠- لميعة عباس من قصيدة إلى أمريكي ألقتها ضمن أمسية شعرية ، ٢٠١٠ .
٢١- مرة واحدة ، فارس حرّام ، اصدارات دائرة الثقافة والاعلام،حكومة الشارقة ، ٢٠٠٥ .
٢٢- مفارقة الحضور والغياب في أعمال درويش الأخيرة ، منار العرب ، مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد (٤) ، العدد (٦) ، ٢٠٢٠ .
٢٣- النص الغائب في القصيدة العربية الحديثة ، عبد السلام عبد الخالق الزبيدي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ط١ ، ٢٠١٢ .
٢٤- النص الغائب – نظريا وتطبيقا – دراسة في جدلية العلاقة بين النص الحاضر والنص الغائب ، د. أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني ، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٣ .
٢٥- نقاط حديث عراقية ، مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،١٩٩٨ .
٢٦- يا أبي أيها الماء ، أجود مجبل ، شركة نورس بغداد للطباعة ، ٢٠١٢ .
٢٧- الهوية في شعر الجيل التسعيني العراقي ، رائد حاكم شرار ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٧ .

Sources ///

-The Impact of the American Occupation on Contemporary Iraqi Poetry - Critical Reading - Dr. Rasha Ghanem, from the information network.
-The Strategy of Presence and Absence in Divan (The Last Dance of the Letter) by Adeeb Kamal El-Din, Master Thesis, Mohamed Khudair University in Biskra, 2019-2020.
- Poetical Works, Adnan Al-Sayegh, Beirut, The Arab Foundation, 2002.
- Anatomy of the Text - Anatomical Approaches to Contemporary Poetic Texts, Abdullah Al-Ghadami, Arab Cultural Center, Casablanca, Beirut, 2nd edition, 2006.
- The text prevents the recipient's pleasure, reading the edges of the text, Bassam Qatous, Aznat for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1st edition, 2002.
- The Duality of Presence and Absence in Postmodern Ceramics, M. Rabab Salman Kazem, University of Babylon, College of Fine Arts, Journal of Human Sciences, College of Education for Human Sciences.
- The Constant and the Transformed: A Study of Creativity and Follow-up among the Arabs, Adonis, Dar Al-Saqi, 7th Edition, Part 1, 1994.

- The Aesthetics of Reception in the Poetry of Mahmoud Darwish - Presence, Absence, and the Phenomenon of Repetition - Dr. Qais Sabih Al-Atwani, Journal of the College of Basic Education, Al-Mustansiriya, supplement to the seventy-fifth issue, 2012.
- The Aesthetics of Presence and Absence in the Poetry of Ali Bin Al-Jahm, Nazim Muhammad Khalaf, Al-Farahidi Arts Magazine, Issue (31), September, 2017.
- Presence and absence in the light of the deconstructive theory of Derrida's poem (Doves Fly) by Mahmoud Darwish as an example, Prof. Dr. Kamal Abdul Razzaq Saleh, Journal of the College of Education, Al-Mustansiriya University, 2017, Issue Two.
- Presence and absence in reading a plastic painting (drawing), d. Nada Abdel Hadi Mahdi, Journal of Arts, Issue (137), June, 2021.
- Khazal Al-Majidi and his poem, Whenever a Hero Appears, Dar Al-Rafidain for Printing, Publishing and Distribution, 2008.
- The Diwan of Love, Bushra Al-Bustani, Baghdad, Al-Dar Al-Arabiya Publishing House, 1st edition, 2003.
- The Biography of the War in Contemporary Iraqi Poetry, Prof. Dr. Hutham Badr Hussein, Iraqi University Journal, Issue (50), Part (3).
- Poetic Salam Dawai, Kazem Ghilan, http://24-news.org/news-zz.html.
- The Effectiveness of the Poetic Text Between Presence and Absence in the Rumiat of Abi Firas Al-Hamdani, Prof. Dr. Hazem Hassan Saadoun, Journal of the College of Education for Girls, Al-Mustansiriya University, Volume 29, Issue (1), 2018.
- Abd Al-Razzaq Abd Al-Wahed, A Poem, O Nai Al-Dar, 2004.
- Fulaiha Hassan, https://www.alnaked-aliragi.net/article/57910. Php
- The poems of Saadi Youssef, Akhbar Al-Adab, Dar Akhbar Al-Youm, Cairo, 2005.
- Lamia Abbas, from a poem to an American, which she delivered as part of a poetry evening, 2010.
- Once, Faris Haram, Publications of the Department of Culture and Information, Government of Sharjah, 2005.
- The Paradox of Presence and Absence in Darwish's Recent Works, Manar Al-Arab, Tartous University Journal for Research and Scientific Studies, Arts and Humanities Series, Volume (4), Issue (6), 2020.
- The absent text in the modern Arabic poem, Abd al-Salam Abd al-Khaliq al-Zubaidi, Dar Ghaida for publication and distribution, Amman - Jordan, 1st edition, 2012.
- The absent text - in theory and practice - a study in the dialectic of the relationship between the present text and the absent text, d. Ahmed Al-Zoubi, Al-Katani Library, Jordan, 1st Edition, 1993.
- Iraqi Hadith Points, Murshid Al-Zubaidi, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1998.
- Oh my father, oh water, Ajwad Majbil, Nawras Baghdad Printing Company, 2012.
- Identity in the poetry of the Iraqi ninety-year-old, Raed Hakim Sharar, PhD thesis, University of Babylon, College of Education for Human Sciences, 2017.